# الدين هو العلاج للأدواء البشرية

## الدين والتـــدين

للدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة بكلية الحقوق

---

**موضوع** هذه الكلمة هو بيان الفارق الكبير الاثر بين مجرد الاعتقاد بالدين ، وبين التدين والعمل به حقا فى أنفسنا وفى أعمالنا وفى معاملاتنا أفرادا وجماعات . وذلك لأنه من الحق أن نقرر أنه لا يكفى ، لنخلص مما نحن فيه ولنكون سعداء فى حياتنا ، أن يكون لنا دين حق ، بل الواجب أن نعيش طبقا لأسسه ونظمه وتعاليمه وأخلاقه وشريعته فى مختلف أمورنا

ان الدين هو نظام الهى وضعه الله لعباده ، يؤدى بهم الى النجاح والخير فى الدنيا وفى الاخرى ، فهو يفرض العبادات المختلفـــة التى بها صلاح الجسم وتقوية الروح وتزكية النفس والقلب ، ويرسم القواعد والاصول التى تحكم الناس فى علاقاتهم ومعاملاتهم بعضهم مع بعض .

أما التدين فهو أمر آخر وراء هذا وأعلى منه ، وهو السبيل الحق لسعادة الافراد والجماعات ، وهو الطريقة الفعالة والخطة المثلى لعزة الامة ومجدها، انه الاخذ بالدين والعمل به ، والنزول على أحكامه فيما يأتى المرء ويذر من الاقوال والاعمال .

فالفرق بين الدين والتدين اذا فرق كبير ، وهو الفرق بين العلم بأى ضرب من ضروب المعرفة وبين العمل بهذه المعرفة ، وكثير منا يعلمون ولا يعملون بما يعلمون ، فيكون علمهم لا جدوى منه ولا يؤدى الى خير فى الحياة العملية . والمثل لذلك كثيرة نلمسها هنا وهناك من أنفسنا ومن غيرنا ، فانه ما أكثر العالمين فينا وما أقل العاملين ، ومن هذا كان كل ما نشعر به من سوء !

ان منا من يعرف علم النحو وقواعده دقيقها وجليلها ، ولكنه لا يعرف أو لا يعمل على أن يقيم لسانه اذا تحدث ، ومن يعرف المنطق قديمه وحديثه، وكيف يكون التفكير السليم ، وكيف يتركب الدليل من مقدمات صادقة يكون عنها نتائجها الصحيحة الصادقة ، ولكنه لا يعمل على أن يكون منطقيا فى تفكيره وصحيحا فى استدلاله .

ومنا من درس الفقه حتى صار حاذقا فيه ، وأحاط بالحلال والحرام فى الاسلام ، ومع هذا لا يعمل على أن يكون فى علاقته بالله تعالى وفى معاملاته مع غيره متفقا مع ما عرف من شريعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ومنا من يعرف الأخلاق وأصولها والفضائل وجمالها وخير العمل بها ، والرذائل وقبحها وسوء عقباها ، فهو إذا وعظ كان واعظا لبقا ، وكان لموعظته أثر يهز القلوب ويجعل العيون تدمع ، ولكن قلبه خواء من ذلك كله ، اذ لا يعمل بما يعلم ، ولا يجعل نفسه حقا على خلق حميد وبعيدا عن الغوى والشرور والآثام .. وهكذا ، الى آخر هذه المثل التى يزخر بها واقع الحياة الفردية والاجتماعية .

★ ★ ★

ولا بأس فى أن أشير هنا الى حديث دار بينى وبين أحد اخوانى المصريين من طلاب العلم بباريس عام ١٩٤٧ على ما أذكر ، وهو شاب مؤمن حقا بدينه وأمته وجنسه . جاء الى هذا الصديق ذات مساء والليل هادىء ساكن ، وقد أوى القوم الى مضاجعهم الا طالب علم أو حليف له .

يدخل غرفتى فأفرح للقائه كعادتى ، ظنا منى أنه أتى ليشركنى فيما أنا فيه من متعة علمية وروحية بعد أن أجهده من العمل ما أجهدنى . بيد أنى لا ألبث أن أتبين أنه جاء لغير ما قدرت ، جاء لينقلنى من هذا الجو الذى كنت أحسه حينئذ ، جاء ليحدثنى حديثا ان يكن جدا وحزما فان له لوعة وألما ، وكان الحديث على هذا النحو الشجى الصادق النابع من القلب المؤمن .

انه ما ان جلس حتى أخذ يلقى على هذه الاسئلة : هل نحن حقا خير أمة أخرجت للناس ، وهل ما نحن عليه من دين هو خير الاديان كما نعتقد ؟ واذا كان الاسلام هو الدين الحق الذى رضيه الله لنا وللبشرية كلها ، وكانت الامة الاسلامية هى خير الامم ، فلم ظللنا قرونا طويلة دون الغربيين قوة وعلما ، بل مستعبدين لهم ، حتى ظن الاجانب بنا وبديننا الظنون ، مع أن الله يقول فى محكم كتابه العظيم « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين ؟** »

هذه الاسئلة ونحوها أخذت تتوالى من صديقى دون أن أستطيع أو أحاول وقفها ، بل لزمت السكوت حتى ينتهى من ثورته ، وحتى يهدأ بالتنفيس عما يعتلج فى صدره من خواطر وآراء . وبعد هذا جلس فى هدوء يستمع الى ما عساى أقول ، وهو يرجو أن تعود السكينة الى روحه الطيبة ، وأن يزيد اطمئنانه الى ما اختاره الله لنا من الدين الحق ، والى وعده بنصر عباده المؤمنين .

نعم يا أخى فى الدين والعلم والوطن ، هكذا بدأت حديثى اليه ، نحن حقا خير أمة أخرجت للناس ، وستظل أمتنا كذلك دائما ما دمنا نؤمن بالله وشريعته كما جاء فى القرآن وكما آمن به أسلافنا الامجاد السابقون ،

وما دمنا نأخذ أنفسنا بالاسلام وما أمر به ونهى عنه ، وما دمنا نعرف الحق ونعمل بما نعرف سواء رضى الناس أو سخطوا ، فان العمل بالدين هو لب الايمان وأساسه ، ولا قوام له الا به .

ومن ثم نعرف يا أخى أنه لا تناقض بين عقيدة أن الاسلام هو الدين الحق الذى ارتضاه الله لنا ، وبين ما نحن عليه من هوان على أنفسنا وعلى غيرنا لم يرضه الله لنا ، بل نحن الذين رضيناه لانفسنا . واليك أمرا واحدا فيه مقنع لنا الآن ، وفيه تفصيل بعض ما أشرت اليه .

روى ابن عمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « **السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية ، فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة** » . فهذا حديث يجمع المسلمون على صحته ، ونخضع له جميعا ، ولكنه خضوع علم ومعرفة ، لا خضوع تدين به وتطبيق صحيح له .

أريد أن أقول بأننا نعرف الدين ، أركانه ومبادئه وتعاليمه ، معرفة نعتقد أنها تصل الى اليقين، ولكننا فى مختلف الحياة نسير على غير ما نعرف ونعتقد الا من عصم الله ، ونرى مع هذا أننا مسلمون . أى أن معرفتنا بالاسلام ليست فى الكثير منا الا معرفة باللسان ، لا معرفة تنتهى بالعمل والتدين ، وهذا فيما نرى ليس الايمان الصحيح ولا الاسلام الحق .

ان من الحق أنه يجب أن ندرك سبب قرن القرآن الايمان والاسلام بالعمل دائما ، وأن نلحظ المعنى الحكيم الذى ينطوى عليه قول المربى الحكيم الأول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : « **الناس هلكى الا العالمون ، والعالمون هلكى الا العاملون ، والعاملون هلكى الا المخلصون ، والمخلصون على خطر** » أى خطر الانحراف ولو قليلا عن الجادة المستقيمة ، والله ورسوله أعلم .

وبعد هذا ، اننا نعرف تماما أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق كما يقرر الرسول الامين الذى لا ينطق عن الهوى ، وذلك مبدأ نؤمن به جميعا ونعتقد أنه لا يقوم مجتمع سليم الا به ، ومع هذا فان كثيرا من اخواننا فى الدين يرون أنهم مؤمنون حقا بهذا المبدأ ، وأن اسلامهم لا ترقى اليه الظنون لقيامهم بشعائره من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وربما نرى معهم أيضا أننا مسلمون حقا لمجرد قيامنا بشعائر الاسلام .

لكن الواحد منا أو من أولئك قد لا يخطر بباله أنه ينال من ايمانه حين يغض الطرف عن آثم فى حق دينه أو وطنه ، أو حين يتعامل بالربا فى

غير ضرورة ملجئة ، غافلا هذا المسلم عن أنه بعمله هذا قد عصى الله ورسوله، وانه قد أثم اثما كبيرا ان كان فعل ما فعل عن غفله ، والا - ان كان فعله مستحلا له - فقد مرق من الدين باستحلاله حراما بنص القرآن .

وهنا بدأ صديقى تنفرج أسارير وجهه وتزول جدة ثورته النفسية ، كما أخذت رغبته فى الحديث تزيد وتزيد ، فقلت له : على أن الأمر لا يقف عندهذا الحد، من تعامل بالربا فى غير ضرورة لا مناص منها ، أو غير هذا وذاك مما يصح ضربه مثلا على أننا نعتقد بصحة ديننا دون أن نتدين به حقا فى كل أمورنا ، ولكن للامروجوها أخرى كلها خطر كبير .

ان أوربا وان يكن لها فى هذا العصر أسرها وفتنتها ، وبما هى عليه من قوة بما وصلت اليه من علوم وصناعات،لا ينبغى أن يخدعنا هذا عن سمو ما نعتز به من دين وتراث مجيد وقوى روحية لا يسعد العالم الا بها ، وعما كان لنا من حضارة وعلوم وصناعات أفاد منها الغرب وبنى عليها نهضته .

ولكن قوما من المسلمين فتنتهم أوربا فى تلك النواحى من الحياة ،فظنوا أن الغرب له العلو فى كل شىء حتى فى باب الشرائع والقوانين ، ولذلك راحوا ينقلون الينا من هذه القوانين التى لا تتفق وديننا وتقاليدنا ،وذلك مع غنى الاسلام فى هذه الناحية غنى يعرفه العلماء من الغرب والشرق .

ثم يا أخى ! هناك مثل أخرى ، لا نستطيع أن نعدها ولكن نعد منها ، تقع ونحن شهود ، ونعرف منها كيف ابتعد أكثرنا - نحن المسلمين - عن الاسلام والتدين به . وهكذا صرنا الى حال يكاد يصدق فيها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها** » فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال : « **بل أنتم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن** » . **فقال قائل : يا رسول الله ! وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت »** .

وهنا قال صاحبى : على رسلك ! فكفانى الليلة ما سمعت ، وقام وهو يقول : « **ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيىء لنا من أمرنا رشدا** » .

* * *

وبعد .. اننا لا نغالى اذن حين نرى أن الايمان بالاسلام لا يوجد فى الكثير منا الا صورة ورسوما وربما شعائر أيضا ، ولكن حقيقته بعيدة

## شيخ الازهر الجديد

استقبل العالم الاسلامى نبأ تعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخا للجامع الأزهر بالغبطة والبهجة والأمل القوى ، فى أن ينهض الأزهر فى عهد فضيلته برسالته الكبرى ، كقائد وموجه للفكرة الاسلامية .

و « مجلة الاسلام والتصوف » تهنىء فضيلته ، وهى تقدر له فضله وعلمه وأفقه الواسع ، ونشاطه المتوثب ، وماضيه المشرق فى الدعوة الرشيدة الى الاصلاح الدينى . والايمان برسالة الأزهر الخالدة .

عنهم ، وفرق ضخم بين الحقيقة وبين الصورة مهما تكن متقنة الصنع ! فان من حقيقة الدين أن المؤمن اذا قال : « **لا اله الا الله** » أن يعتقد أنه لا رب غيره ، وأنه وحده الضار النافع ، وأن بيده ملكوت كل شىء ، واذن فليس له أن يخاف الاعداء المستعمرين لأى رقعة من وطنه الاسلامى العربى .

ومتى كان كذلك ، كان حريا بأن يخلص له العبادة ، وبأن ينزل على أحكام الدين فى كل حالاته ، ولا يخاف الموت فى سبيله ، وبذلك ينتصر فى كل ما يريد أو يموت شهيدا ، وبمثل هؤلاء المؤمنين المتدينين حقا بما يؤمنون به يتقدم العالم ، وتحيا الامة حياة قوية عزيزة كريمة على نفسها وعلى غيرها من الامم الاخرى .

وحسبنا شاهدا على هذا ما صرنا اليه من عزة ومجد هذه الايام ، وان العالم صار يترقب ما تقول الامة العربية وما تفعل ، فهو ينصت لها حين تتكلم ، ويحسب لها حساب أى حساب ، والله لا يضيع أجر العاملين .

**محمد يوسف موسى**